من الصعب الاجابة على هذا السؤال · ونحن لا نتوخى في هذا المقال القيام بمثل هذا التحليل السياسي · الا اننا مع ذلك ، نتوفر على عناصر كافية لتقييم كثافة هـــذه التحولات التي تتهيأ في العقول ، وداخل المجتمع الاسرائيلي وخارجه · ووسط العشائر اليهودية التي أعربت في أقطار مختلفة وباستمرار ، عن انتمائها الى الصهيونية · وكل ما يجري ، كأنما هو انعكاس لمرآة متعددة ، حيث الحقائق انقاسية للحياة السياسية الأسرائيلية ، تعكس لليهود الشرقيين ، وبخاصة أولئك الذين نزحوا من المغرب ، صورة هويتهم رغم جميع المحاولات التي بذلت لتشويهها واخفائها · وتعتبر قضية وادي الصليب بداية الفتـرة الاساسية لليقظـة السياسية لليهود الشرقيين · ذلك انهم ، في سنـة ١٩٥٩ ، تظاهروا ضد البؤس والتمييز العنصري خاصة في وادي الصليب وهو الحي الذي يعيش فيه خمسة الاف يهودي من شمال افريقيا ومن المغرب خاصة ، في شروط مزرية · (اننا نأخذ هذه المعلومات من تصريحات دافيد بن هروش التي نشرت في ملف الفهود السود بمجلة « أقليات » Minorités ، العدد الاول ، فبراير ١٩٧٦) · وفي ذلك اليوم ، يوم الاربعاء ٨ تموز ١٩٥٩ ، سقط اليهودي المغربي اقريف عقيبة تحت رصاص البوليس قتيلا ، وحوصر وادي الصليب من طرف « حرس الحدود » ، واتهم اتحاد يهود افريقيا الشمالية وسجن قادته · لقد مرت السنوات ، ويمكن الاعتقاد بأن الزمن قد محا ذكرى هذه الحادثة ، غير ان ميلاد حركة الفهود السود يكفي وحده للتدليل على العكس · لكن هناك ما هو اكثر ، هناك القيمة الرمزية والنموذجية لهـذا الحادث التي لا يمكن محوها · لنتخيل لحظة تلك الحقيقة الرهيبة التي انبثقت أمام العينين الجريحتين لاقريف عقيبة ، وذلك الحلم الذي تهاوى وسط الدم · الحلم الصوفي الذي كان يتغذى بالكلمة القديمة : « السنة القادمة في القدس » والذي كان يشكل الملجأ الروحي لليهودية الشرقية بدون ان يرتسم المشروع السياسي قط في افقه ·· هذا الحلم، اذن ، ضرب بدوره ضربة قاضية · تبين للجميع ان يهوديا يمكن ان يقتله يهودي اخر ، وان القمع والاضطهاد يمكن ان يكونا يهوديين ، وان السلطة ، رغم انها تمارس من طرف أشخاص يهود ، فانها لا تكف عن أن تظل سلطة · هناك ، اذن ، عنصرية يهودية ليست موجهة هذه المرة ضد الاجنبي ، بل ضد اليهودي الشرقي باعتباره ينتمي الى عرق مختلف عن عرق اوروبا الوسطى او « الاشكيناز » · ·وهناك لاسامية يهودية مؤسسية· قد يقال ، سذاجة ان تكتشفوا اخيرا ما كان مكتوبا في دستور دولة اسرائيل منـــذ تأسيسها · بدون شك · لكن ، سذاجة اكثر خطورة ايضا ان نستمر في عدم رؤية هذه الحقيقة ، هنا وفي الخارج ، وهي ان التسميم الايديولوجي ، والتهديد بالخطر الخارجي ينيخان بثقل حاسم ويعوقان وعي الجوهر العنصري للحركة الصهيونية ·

ان وادي الصليب يشكل احدى علامات ظهور وضعية ملتصقة بطبيعة دولة اسرائيل ذاتها · وهذا ما يتيح لنا ان نجعل منها حادثة نموذجية وأن نستخلص منها نتائج مشروعة ·

هناك اعتباران يستحقان التسجيل في هذا الصدد · ان تحليل واقع الدولة الاسرائيلية لا يمكن تجنبه باسم منظور أخلاقي او روحي · واذا كان هناك مجال لا يمكن ان تستبعد منه السياسة والايديولوجية ، فهو مجال الدولة ، ولو كان مغمورا ـ كما هو حال اسرائيل ـ برغبة قديمة ، ومدثرا بدثار الاستشهاد ، فالهروب هنا لم يعد ممكنا بعد ان انكشفت الحقائق ·